نماذج من التفسير النبوى للقرآن

لم يتحدث رسول الله ﷺ - فيما نقل لنا عنه - كثيرًا عن شعراء الجاهلية وخطبائها إلا بضعة أقوال متناثرة ، لا تتيح لنا أن نعرف حكمه المسهب على النصوص الأدبية المشتهرة ، لأن أعباء الدعوة الإسلامية لم تترك لديه فراغًا يفسح مجال القول فى أدب السالفين ، ولكن ما فاتنا من رأيه الفصل فى الأدب الجاهلى لا يعد شيئًا ، جوار ما تركه ﷺ من الحديث عن كتاب الله وهو أروع نص أدبى عرفته العربية فى القديم والحديث.. لذلك.. كان على الباحث المنقب عن إبداع محمد الأدبى ألا يمر بتفسيره ﷺ للقرآن الكريم دون أن يستنبط منه ما ينبئ عن حاسة التذوق الأدبى لدى رسول الله ، حيث كان مذاقه الخاص لكتاب الله من السمو والروعة مما يحسب له فى مجال التقدير الأدبى ، وإذا كان الله عز وجل قد يسر القرآن للذكر ، فإن آثار هذا التيسير من السهولة والنصاعة والوضوح وقوة الحجة مما جعلته ساطع البرهان ، مضيء الدلالة رائع التأثير لدى سامعيه المعاصرين ، وهم أفصح أهل العربية بيانًا ، بحيث كان ألد أعدائه يتسلل فى ظلمات الليل ليسمعه فى خفية عن الأنظار ، وبحيث نقل لنا التاريخ عن أحدهم وقد كان شديد الخصومة للإسلام ، قوى اللدد لمحمد ، وأنه استمع ما استمع إلى آيات متصلة من القرآن ، ثم رجع إلى قومه ليقول عنه: «إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق» .

وإذا كان خصوم الإسلام قد دهشوا لروعة القرآن ، فإن محمدًا ﷺ كان أشد الناس تأثرًا بمنطقه ، وكان يتلوه تلاوة تظهر معانيه ظهورًا رائعًا أخاذًا ، قال جبير ابن مطعم رضى الله عنه: سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بـ «الطور» فلما بلغ هذه

الآيات : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾[1] . كاد قلبى أن يطير[2] فهذا صحابى كريم كاد يطير قلبه من تأثير قراءة محمد ﷺ بعض آيات من سورة الطور ، وبلاغة الترتيل لدى محمد نابعة من قوة يقينه ، وشدة إيمانه بما يقرأ ، ولا ريب فى أنه كان دائم التفكير فى هذا البيان المعجز الذى نزل على قلبه ، وكان يزن كل آية بميزان دقيق بحيث تنكشف له عن دلائل عميقة لا يلمحها سواه، لذلك.. كان دائم الخشوع ، غزير الدمع حين يتلو القرآن وحين يسمعه ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لى النبى ﷺ : اقرأ علىَّ قلت: أقرأ عليك وعليك نزل ، قال : فإنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[3] .. قال: أمسك ، فإذا عيناه تذرفان[4] .. وكان فى ذهابه وإيابه وقيامه وقعوده يفكر فى القرآن ويستحضر آياته فى كل موقف يمر به ومن ذلك ما حدثت عنه عائشة حين قالت :

كان محمد ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف فى وجهه ، قلت: يا رسول الله ، إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا ، رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية ، فقال: يا عائشة ، ما يؤمننى أن يكون فيه عذاب ، عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا[5] ، إشارة إلى قوله تعالى

(١) سورة الطور : ٣٦، ٣٧ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ .

(٣) سورة النساء : ٤١ .

(٤) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٩٦.

(٥) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

عن قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ ﴾[1] .

فرسول الله كان يتذكر من آيات القرآن فى كل موقف ما يند عن غيره مهما أمعن وتدبر ، وذلك لطول تأمله ومعاودته ، وانطباق لبه على كلماته وحروفه فضلاً عن أغراضه ومعانيه.. ولا ريب أنه فسر كثيرًا من كلماته وكشف عن غوامضه تصديقًا لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

ولن نتعرض هنا لما ناقشه الأصوليون من اجتهاد الرسول ، إذ ذهب فريق إلى أنه ﷺ ليس له أن يجتهد بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[3] كما يذهب الجمهور من العلماء إلى أن الاجتهاد من حقه ﷺ بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ ﴾[4] أى بما جعله لك رأيًا كما قال أبو يوسف رحمه الله ، أقول: لن نتعرض لذلك ، لأن اجتهاد الرسول أوضح من أن يختلف فيه ، بدليل أن القرآن كان يراجعه فى بعض ما اجتهد فيه ، كموقفه من أسرى بدر فى سورة الأنفال، ومن ابن أم مكتوم فى سورة عبس ، وبدليل أن القرآن جعل الاجتهاد من حق العلماء فى مثل قوله : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[5] فأولى أن يكون من حق

(١) سورة الأحقاف : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة النحل : ٤٤ .

(٣) سورة النجم : ٣ : ٥ .

(٤) سورة النساء : ١٠٥ .

(٥) سورة الحشر : ٢ .

الرسول ، لذلك كان تفسير رسول الله للقرآن ، من وحى اجتهاده ، وإذا علم أن الاجتهاد الصائب نوع من الإلهام الصادق فقد اقتربت شقة الخلاف .

على أننا لا نتحدث هنا عن التفسير النبوى ، لنبحث الجانب الفقهى منه ، أو التاريخى أو التوحيدى ، فذلك ما تتكفل به كتب العلماء والمفسرين ، ولكننا نذكر هنا نماذج من الشرح النبوى لنعرف كيف كان محمد يفهم النص الأدبى فى أفصح كتاب يتلوه الناس .

إن الذى يتأمل أقوال محمد ﷺ عن القرآن يدرك أنه كثيرًا ما كان يقدر الوحدة الموضوعية للنص فهو ينظر عليه الصلاة والسلام إلى السياق نظرة كلية متصلة ، بحيث لا يقتصر على الكلمة الجزئية أو الآية الواحدة صارفًا النظر عما يحيط بها ، كما تعودنا ذلك من بعض المفسرين ، هذه النظرة الكلية يفصح عنها حديث أبى هريرة حين روى عن النبى ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم قال: أثنى على عبدى ، وإذا قال: مالك يوم الدين قال تعالى: مجدنى عبدى ، وقال مرة فوض إلى عبدى ، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل[1] .

فإن هذا الحديث ينبئ أن محمدًا ﷺ كان ينظر إلى أم الكتاب نظرة كلية بمعنى أن آياتها قد رتبت ترتيبًا متماسكًا يسلم أوله إلى آخره ، هذه النظرة الصائبة تدل على بصر كامل بالبيان الرفيع ، وتتخطى أزمانًا كثيرة لتثبت أمام النقد المعاصر ، أن ما يكثر الحديث عنه من وحدة الموضوع كان مفهومًا واضحًا لدى رسول الله .

(١) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٣٧.

وقارئ النصوص التفسيرية المأثورة عن الرسول ﷺ يدرك أنها لم تكن فى أكثر حالاتها تفسيرًا لغويًا ، لأن القرآن قد خاطب العرب بما يفهمون ، وما نفذ الذكر الحكيم إلى شغاف قلوبهم إلا لوضوحه فى عقولهم ونصوعه فى أذهانهم ، وهم بعد أهل اللغة وخبراؤها الثقات. إلا ما وجد من كلمات يسيرة ، كانت تغيب معانيها عن فريق دون فريق مثل «بضع» فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «البضع» ما بين الثلاث والتسع [1] من السنوات ومثل كلمة «المهل» فقد روى أبوسعيد الخدرى عن النبى أنه قال : فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ** ﴾[2] كعكر الزيت ، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه [3] .. أما ما عدا ذلك وشبهه فليس بالتفسير اللغوى ، بل بما توحى به الدلائل ويكشف عنه السياق .

ولنا أن نقسم بعض ما نستشهد به من النماذج النبوية للتفسير القرآنى إلى ثلاثة أنواع: نوع يكشف عن المعانى المجهولة لألفاظ لا يوحى بها المنطوق ، ونوع ثان جاء تفسيره فى سياق إرشادى يمهد لمراميه ويكشف عن مدلوله ، ونوع ثالث أوحى به المقام من توجيه سؤال أو واقع حال ، وكلها تصور وقوفه ﷺ على أسرار البيان الربانى ، وتشربه معانيه تشربًا لا يتاح إلا لعبقرى عظيم .

فمن النوع الأول هذه الآثار..

١ – عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لما نزلت : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾[4] شق ذلك على المسلمين ، فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ،

(١) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٠٩.
(٢) سورة الكهف : ٢٩ .
(٣) « التاج » ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .
(٤) سورة الأنعام : ٨٢ .

ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[1] .

فواضح من تفسير الرسول أنه يقرر أن القرآن يفسر بعضه بعضًا ، فقد جاء بالنص الثانى من سورة لقمان ليفسر معنى الظلم فى النص الأول من سورة الأنعام ، وهى قاعدة أصبحت من المسلمات الآن. فأزال بذلك عناءً مرهقًا للنفس المؤمنة؛ إذ لا يخلو أى إنسان من ظلم نفسه فأراح التفسير النبوى من هذا العناء .

٢ – روى النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال: الدعاء هو العبادة ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2].

وهذا تفسير معقول ، إذ إن قول الله عقب الأمر بالدعاء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ يكشف عن المراد من معناه وهو ما اهتدى إليه الرسول حين قرأ الآية جميعها ، وبذلك يخطئ من يظن أن كل دعاء مستجاب كما هو الظاهر من المعنى اللفظى .

٣ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[3]

قال أبو أمية الشعبانى: سألت أبا ثعلبة عن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ فقال: «أما والله لقد سألت عنها خبيرًا ، سألت رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك» [4] .

(١) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ . سورة لقمان : ١٣ .
(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ . سورة غافر : ٦٠ .
(٣) سورة المائدة : ١٠٥ .
(٤) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١١٢.

فالتفسير المحمدى إذًا ، لا يغفل الأهداف العريقة التى دعا إليها الإسلام من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقد يظن بعض السذج أن قول الله عليكم أنفسكم مما يدعو إلى التفات المرء لنفسه دون غيره ، بمعنى أنه لو رأى معصية ترتكب فلا ينهى عنها ، مادام هو فى ذاته لم يقارف إثمًا ، فجاء التفسير النبوى ليدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قدر الاستطاعة ، حتى إذا ظهر اليأس من القدرة عن الصلاح كان على المؤمن أن يتولى أمر نفسه ، إذ لا يضره من ضل حين يلتزم جانب الهداية ، وأكثر ما روى من تفسير رسول الله لآيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤكد ذلك ، فقد روى أبو عبيدة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن بنى إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ، فرذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ونزل فيهم من القرآن : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

قال الراوى: وكان نبى الله ﷺ متكئًا فجلس ، فقال: لا حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه أطرًا[2] .

(١) سورة المائدة : ٧٨ : ٨١ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٠٨.

وقد كان رسول الله ﷺ سريعًا إلى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ فى تفسير بعض آيات الله ، وإن كان فى صيغة سؤال؟ فما يكاد يصل إلى سمعه بعض ما جاء فى غير موضعه من القول ، حتى يبادر إلى إحقاق الحق ، فقد قرأت عائشة رضى الله عنها ذات مرة قول الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[1] فسألت رسول الله : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون، فقال: لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم [2] .. فكأن عائشة قد ظنت الوجل لدى هؤلاء من حدوث الذنب ، وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن النبى المفكر لا يبتر قطعة من نص ليستشهد بها دون النظر إلى جميع الكلام ، فهو يعلم أن الآية سيقت فى مجال الحديث عن المؤمنين التقاة ، إذ يقول الله عنهم فى سورة «المؤمنون» : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾[3] وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، وليسوا ممن يسارعون فى الخيرات ، ولو تدبرت عائشة النص الكامل ما سألت سؤالها البعيد ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال الصالحة فخشية ألا يتقبلها الله ، وهذا ما عبر عنه القرآن بالإشفاق فى مجال آخر حيث قال عن المؤمنين فى الجنة : ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾

(١) سورة المؤمنون : ٦٠ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٩٠.

(٣) سورة المؤمنون : ٥٧ : ٦١ .

قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وبعض الصحابة على حق ، حين يلتبس عليهم وجه الحق فى بعض الآيات ، فلكل تفكيره الخاص ، وفوق كل ذى علم عليم ، لذلك كان اهتمام الرسول يكشف الحقائق عن آيات الكتاب ، ومن يقوم بذلك غير عالم ناقد يفهم النصوص القرآنية فهمًا كليًّا مستوعبًا ، ثم يصدر عن فلسفتها العامة فى التخريج والتأويل ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة من أنه حين نزل قول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾[2] . شق ذلك على المسلمين[3] ، وتربصوا بنفوسهم الشر؛ إذ إن لكل إنسان أخطاء مهما احترز ، فشكوا إلى النبى ﷺ فقال: قاربوا وسددوا ، ففى كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة أو النكبة ينكبها ، ثم ضرب الرسول فى رواية أخرى أمثلة لما يصيب المسلم من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها فى كم قميصه فيفقدها فيفزع لها هى مكفرة الذنب ، كل ذلك فهمه محمد ﷺ من قول الله عز وجل : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ .

وفى القرآن ألفاظ مجازية تحتاج إلى الإيضاح أو صور تشبيهية تحتاج إلى المثال ، وهو ما تكفل به الرسول عليه السلام وقد صدر فى ذلك عن سلامة فهم ، وصحة تأمل ، ووقوف على أسرار العربية فى أساليبها المجازية والحقيقية على السواء ، ونشير إلى بعض ذلك بهذه الأمثلة :

---

(١) سورة الطور : ٢٢ : ٢٨ .

(٢) سورة النساء : ١٢٣ .

(٣) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٠٣.

١- لما نزلت آية الصيام ومنها : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾[١] سأل عدى بن حاتم أهما الخيطان ، فقال ﷺ لا ، بل سواد الليل وبياض النهار[٢] .

٢- حين قال الله عز وجل عن أوليائه : ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[٣] . سأل أبو الدرداء محمدًا ﷺ عن بشرى الحياة فقال: هى الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو ترى له .

٣- قال الله تعالى فى سورة الواقعة : ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾[٤] . ففسر النبى ﷺ الرزق بالشكر[٥] . وكأنه أخذ ذلك من سياق السورة ، إذ يسأل الله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ ﴾[٦] ، ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ ﴾[٧] ، ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ ﴾[٨] . إذ إن المشركين يكذبون ما يسمعونه عن نعم الله هذه .

فسيقت هذه الآية : ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ ﴾ مساق التوبيخ ، عن الجحود والكفران .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٥٧.
(٣) سورة يونس : ٦٤ .
(٤) سورة الواقعة : ٨٢ .
(٥) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٦٠.
(٦) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .
(٧) سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ .
(٨) سورة الواقعة : ٧١ ، ٧٢ .

٤- قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[١] فقال ﷺ هى النخلة ، وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[٢] فقال ﷺ هى الحنظل[٣] .

٥- قال تعالى فى صفة أهل النار: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[٤] فقال ﷺ عن الوجه الكالح : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته[٥] .

هذه بعض الأمثلة لما يكشف به الرسول عن المعانى المجهولة لألفاظ قرآنية لا يوحى بها المنطوق ، أما أمثلة التفسير الذى يكشف عنه الرسول فى سياق الحديث العام عن طريق الاستشهاد بالآية فى موضع يدل عليها ، ويكشف عن مرماها فما أكثر ما روى منه ، والكشف عن نص من النصوص الأدبية من خلال السياق العام أمر تهش له الدراسات الحديثة وترحب به ، إذ إن المستشهد بالآية الكريمة إذا كان صحيح النظر كمحمد ﷺ يمهد لها بما يلقى الضوء الساطع على المراد منها ، فتنزل من السامع أو القارئ أحسن منزل وأرضاه ، ويكون مجرد الإتيان بها فى حديث متسلسل مطرد إيضاحًا قويًّا لمدلولها المراد ، ولن يقدر على ذلك غير خبير فاحص متدبر قد ألم بالآيات القرآنية إلماماً دقيقًا ، ورزق من قوة الملاحظة ، واتساع الحافظة، وسداد الإصابة ما يجعل نصوص القرآن طوع بنانه متى أراد ، والكثرة الكاثرة منا يحفظون القرآن ثم لا يقدرون كثيرًا على الاستشهاد به دائمًا فى براعة وحدة كما يفعل

(١) سورة إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) سورة إبراهيم : ٢٦ .
(٣) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٥٨.
(٤) سورة المؤمنون : ١٠٤ .
(٥) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٩٠.

الرسول ، بل إن كثيرًا من المستشهدين بالقرآن لا يصيبون الآية بمذاقهم الخاص ، بل يتناقلونها مستشهدًا خلف مستشهد ، ومحمد المعلم الأول لم يكن لينقل عن أحد فى القول والفعل ، وأبيح لنفسى أن أشير إلى بعض هذه الاستشهادات المفسرة كما جاءت فى بيان رسول الله :

١- عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فيعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فيتعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١] ، قال تعالى : ﴿ **ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ** ﴾[٢] .

٢- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: قال الله تعالى وقوله الحق: إذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشرة أمثالها ، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، فإن تركها أو قال: لم يعمل بها فاكتبوها حسنة ثم قرأ : ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ** ﴾[٣] .

٣- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إنى قد أحببت فلانًا قال : فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى أهل الأرض فذلك قوله :

---

(١) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٧١.

(٢) سورة البقرة : ٢٦٨ .

(٣) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٢٠ . سورة الأنعام : ١٦٠ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴾[1] . وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل ، إنى قد أبغضت فلانًا ، فينادى فى السماء ثم تنزل له البغضاء فى الأرض [2] .

٤- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول : ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3] .

٥- عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: لا يصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم قرأ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[4] .

٦- عن ابن عمر رضى الله عنه قال : خطب النبى ﷺ الناس يوم فتح مكة فقال : «يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس، رجلان: بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[5] .

٧ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ،

---

(١) سورة مريم : ٩٦ .
(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٨٣.
(٣) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٩٧. سورة الروم : ٣٠ .
(٤) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٢٠. سورة الشورى : ٣٠ .
(٥) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٨٣. سورة الحجرات : ١٣ .

ما أطلعتم عليه ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

٨- عن على رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله فى بقيع الغرقد فى جنازة ، فقال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده فى النار ، ومقعده من الجنة ، قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشفاوة ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[2] .

٩- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قد ينادى مناد: آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وآن لكم أن تحيوا فلا تموتوا ، وآن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدًا ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

١٠- عن على عن أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى فيستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

تلك عشرة أحاديث ، وما بنا أن نزيد .

---

(١) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٠٩. سورة السجدة : ١٧ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٣٦. سورة الليل : ٥ : ١٠ .

(٣) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٢١. سورة الأعراف : ٤٣ .

(٤) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٨٨. سورة آل عمران : ١٣٥ .

فإذا انتقلنا إلى النوع الثالث من التفسير النبوى ، وهو ما أوحى به المقام من توجيه سؤال أو واقع حال.. نجده مما يدل على مهارة فائقة فى الاستنباط والتخريج، لأن الصحابى العربى الذى يتقدم بسؤال عن آية من القرآن لا يكون سؤاله بدهيًا هينًا ، بل لابد أن يستعصى عليه وهو ابن اللغة وربيب الفصاحة ، فيتطلب إجابة صائبة من ذى فكر أكبر يتمتع باليقظة والدراية والثقوب ، وذلك بعض ما لدى محمد من مميزات ، إذ إن إجابته على الأسئلة القرآنية كانت دائمًا حسمًا للخلاف وكشفًا عن الباطن المستور .

قالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس أحد يحاسب إلا هلك ، قلت يا رسول الله ، جعلنى الله فداك ، أليس يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[1] . قال : ذلك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك[2] .

فسؤال عائشة فى موضعه لدى من يقفون بآية : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾. وعند مدلول الحساب اللفظى ، ولكن الرسول بإدراكه الكلى للقرآن علم أن الحساب هنا العرض ، وفى موضع آخر يكون بمعنى المؤاخذة والمناقشة ، وهنا مظنة الخطر وتوقعه .

وقد سئل رسول الله ﷺ ذات مرة عن زكاة الحمر ، فقال: لم ينزل على فيها شىء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[3] وصريح الاستدلال يدعو أصحاب الحمر إلى الزكاة عنها ، لأن كل إنفاق محسوب مدخر عند الله ولو كان مثقال ذرة ، ووصف الرسول

(١) سورة الانشقاق : ٧، ٨ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٩٠.

(٣) « التاج » ج ٤ ، ص ٣٠١ . سورة الزلزلة : ٧، ٨ .

للآية بأنها الجامعة الفاذة ، مما يلفت إلى عظيم خطرها ووجوب تدبرها ، فهو وإن لم يكن من قبيل التفسير للمعنى ، فقد ألقى عليها أشعة من الإجلال والاحتفاء .

ومثال ثالث: عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: لما نزلت : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1] قلت: يا رسول الله ، فأى النعيم نسأل عنه؟ إنما هما الأسودان: التمر والماء ، قل أما إنه سيكون[2] .

وبعض شراح الحديث يفهمون من قول الرسول أما إنه سيكون أن السؤال سيكون عن التمر والماء مهما قل شأنهما ، وأنا أفهم معنى آخر ، أفهم أن الرسول يتنبأ للمسلمين بالخير والنعيم حين تمتد راية الإسلام ، ويدخل الناس فى دين الله أفواجًا من جميع الممالك والدول ، وإذ ذاك يكون النعيم ، ويزداد الخير فيحاسب عليه المسلمون. وهذا ما كان فعلاً بعد اندحار الفرس والروم ، وغزو الهند ، وما وراء النهر ، وفتح الأندلس وصدق رسول الله .

ومثال رابع – وهو أيضًا مما يدل على التنبؤ المحمدى الصادق ، فيعزز رأينا فى الحديث السابق – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا عند النبى ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] قال رجل: يا رسول الله: من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه رسول الله ﷺ وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله ﷺ يده عليه فقال: «والذى نفسى بيده ، لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء»[4] .

هذه أمثلة شتى لأسئلة الصحابة ، وقد يسأل رسول الله نفسه صحابته ليختبر مدارك سامعيه ، فإذا وجد الإجابة لا تقنع بادر بالقول المفيد؛ ليتعظ العاقل ويتنبه

(١) سورة التكاثر : ٨ .
(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٠٣.
(٣) سورة الجمعة : ٣ .
(٤) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

النائم ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[1] فى سورة الزلزلة ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل يوم كذا كذا ، فهذه أخبارها»[2] .

كما أنه ﷺ كثيرًا ما ينتهز مناسبة ما من مناسبة الحديث ، ليذكر ما يشير إلى موضوعها من القرآن الكريم ، فتتضح الآية اتضاحًا ساطعًا لانتهاز المناسبة ، ومن ذلك ما حكاه عبد الله بن مسعود حين روى أن حبرًا من الأحبار وفد على رسول الله ﷺ ، فقال: يا محمد: إنا نجد (أى فى التوراة) أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجرة على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول أنا الملك «فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ، ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

على أن لمحمد ﷺ من صدق الاستشفاف للكتاب ما ليس لسواه ، فقد قرأ ذات يوم قول الله عز وجل فى سورة الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[4] فقال ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعرى ، أنزل الله على أمتى أمانين ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة[5] ، أما سرعة انفعاله الشديد بما يقرأ من القرآن فما أكثر ما أشرنا إلى بعض

(١) سورة الزلزلة : ٤ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ٣٠١ .

(٣) « التاج » ج ٢ ، ص ٢٣١ . سورة الزمر : ٦٧ .

(٤) سورة الأنفال : ٣٣ .

(٥) « التاج » ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

شواهده ، ومن ذلك ما روى من أنه ﷺ حين نزلت هذه الآية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾[1]، «قال رسول الله فى ضراعة» أعوذ بوجهك ، ثم سمع بعد ذلك : ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فكرر الاستعاذة ضارعًا ، ثم سمع بعد ذلك : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ، فقال : هذا أهون ، أو هذا أيسر[2] .

وقد اهتمت كتب الحديث برواية جميع ما نقل عن رسول الله من التفسير ، ثم جمعه الحافظ ابن حجر فى كتاب خاص ، وأحصاه الجزء الرابع من التاج فى باب التفسير ، ولمن يرجع إليهما أن يلمس صدق النظرة ، وسلامة الاستنباط ، وقوة الاستشفاف ، ودقة التحديد لمعانى الكلمات ومدلولاتها وذلك ما يعنينا هنا بصدد الحديث عن موقف محمد من تفسير القرآن باعتباره نصًّا أدبيًّا ، أما اعتباراته الأخرى من توحيد وتشريع وتاريخ ، فقد أوسعها العلماء شرحًا ودراسة وتأويلاً ، وكل ذلك مشتهر معروف .

* * *

(١) سورة الأنعام : ٦٥ .

(٢) « التاج » ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

obeikandl.com